قضايا الأدب والأدباء

مناقشة عنيفة حول « الجوانية »

كانت الساعة تشير الى السادسة مساء (١٨-٤-٦٢) عندما اعتلى المنصة احد الاساتذة المشرفين على برنامج محاضرات الجامعة العامة لتقديم الدكتور « عثمان امين » . فقال : اقدم لكم اليوم بكل افتخار الاستاذ الكبير الدكتور عثمان امين رئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة وصاحب المؤلفات العديدة والذي مثل الفلسفة العربية في اكثر من مؤتمر عالمي وهو صاحب الفلسفة « الجوانية » الشهيرة .

وهكذا تقدم الدكتور امام المصدح المنصوب في اكبر مدرج في كلية الاداب حيث كان يفص بمختلف الحاضرين من طلبة قسم الفلسفة ومن دكاترة واساتذة معروفين في مختلف شئون الفكر والادب ليحاضر في الموضوع الذي اعلن عنه من قبل تحت عنوان « الجوانية في الادب » .

استهل الاستاذ امين محاضرته بتعريف « الجوانية » فقال انها فلسفة تحاول ان ترى الاشياء والاشخاص بزاوية لا تقنع بالمظهر بل تحاول ان تلمس الباطن وتحاول ان تفصح عن الداخل بعد ملاحظة الخارج وان ترجع بكل شيء الى المعنى والروح والماهية من وراء الحس والاعراض .

وانه يعتنق هذه الفلسفة في جميع ميادين الحياة الاخرى من اجتماع وسياسة واخلاق ...

ثم يسترسل المحاضر في ايراد كلام طويل من الاراء العربية القديمة ليستدل بها على ان معنى « الجوانية » هو « الباطنية » وان معنى « البرانية » هو « الظاهرية » ويلاحظ ان اللهجة الدارجة المصرية لا تختلف في استعمالها للكلمتين عن العربية الفصحى .

وبعد هذا مباشرة اخذ المحاضر في استعراض نماذج ادبية يراها تطبيقا ادبيا للجوانية فلم يكد يعدل عن ذلك حتى النهاية . اما هذه النماذج الادبية فلا تتميز بما يدل على « جوانيتها » الا من حيث عمقها او دقة تحليلاتها مما اعتبره الدكتور تطبيقا لفلسفته . ولا سيما عندما تعرض في هذه النماذج كلمة « كالباطن » او « الداخل » وذلك مهما كان ورودها عارضا . وتعود هذه المقطوعات النموذجية - في رأيه - الى مصادر متعددة ذكر منها « الامام علي » واورد له : « اذا تكلم الرجل عرفناه من ساعته واذا لم يتكلم عرفناه من يومه » .

والشريف الرضي والمتنبي، ومما يثبت «جوانيتهما» في رأيه قولهما:

لا تجعلن دليل المرء صورته ... كم منظر حسن عن مخبر سيء

و

واطراف طرف العين ليس بنافع ... اذا كان طرف القلب ليس بمطرف

وكان المحاضر يبدي حماسا كبيرا لهذا المعنى المشذب للظاهرية او على حد تعبيره « للبرانية » .

ويسترسل المحاضر في عرض استشهاد طويل للشاعر الماني « جوته » من كتابه « الانساب المختارة » بعد ان نقد هذه التسمية واقترح لها « الوشائج المخيرة » ثم يستعرض بنفس الطريقة نماذج اخرى لـ«طاغور» و« محمد اقبال » و « العقاد » و « الشابي » واصلا الى احدث تطبيقات الجوانية في الادب على ما اذكر .

تهجم على مجلة الاداب

وفوجيء الحاضرون بتهجم عنيف من طرف المحاضر ضد مجلة الاداب بمناسبة مقال كانت قد نشرته ردا على « الجوانية » كما هاجم الدكتور الذي كتب المقال .

وعلى عكس ذلك تماما اخذ الاستاذ امين يطنب في مدح طالب من طلابه وذلك لانه كتب ردا على المقال ، فيما قال ، بعد ان ارسله الى مجلة الاداب ولم تنشره .

وها هنا كانت الساعة قد بلغت منتصف التاسعة فانهى الدكتور محاضرته واخذ يهم بالانصراف متحللا من ضرورة اتاحة المناقشة لمن يريدها من الحاضرين وفعلا فقد كان احدهم قدم له طلبا كتابيا في ذلك.

الجنيدي خليفه يناقش :

وهنا وقف من مقعده المفكر الاديب الجزائري الشاب « الجنيدي خليفه » فاعلن انه لكي تتم الفائدة من المحاضرة فلا بد من فتح باب المناقشة واتاحة التعبير عن آراء الحاضرين .

لكن الدكتور امين اعتذر بضيق الوقت وخصوصا بالنسبة الى الاساتذةالمدعوين . غير ان الاستاذ « الجنيدي » قد التفت الى ناحية المقاعد التي يشغلها هؤلاء الاساتذة ورجاهم ان يتفضلوا بمزيد البقاء قليلا . وعندئذ لم يجد الدكتور بدا من قبول المناقشة .

من هو الجنيدي خليفة ؟

وقد يكون من حق العروبة والفكر علينا ان نسلط بهذه المناسبة قليلا من النور حول شخصية المناقش ولاسيما بعد ان سلط مثل هذا النور على شخصية المحاضر . (بعد ان سألت في سبيل الوصول الى معرفة شخصه كثيرا ممن يعرفونه) .

والجنيدي خليفة شاب جزائري من شباب العرب القلائل الذين يخوضون منذ صباهم الباكر نضالا متواصلا في جبهات مختلفة ، فهو الذي كان يقود في بداية الثورة الجزائرية التنظيم السياسي والعسكري في الحدود الجزائرية التونسية ، والتونسية الليبية بل وحتى في بعض المناطق داخل التراب الجزائري وقد اعتقلته سلطات فرنسا عشرين شهرا نجا خلالها من السجن والاعدام باكثر من اعجوبة .

والجنيدي لا يقل عن ذلك نضالا في ميدان الفكر فهو قد قاد أكثر من جمعية ثقافية وكتب مئات المقالات الصحفية وخاض من المعارك الفكرية ضد الكثير من الرجعيين حيث دام بعضها حوالي اربعين يوما وهي المعروفة بمعركة«اللائحة»وقد جرت بجريدة الصباح التونسيةسنة ١٩٥٨.

والجنيدي معروف كذلك ببحوثه الرصينة ومقالاته العميقة في كثير من الميادين الفكرية من علمية وادبية وفلسفية منشورة في ارقى المجلات العربية (وحتى الفرنسية) مثل مجلة « الفكر » التونسية و « الاداب» و « العلوم » البيروتيتين وهو يقيم الان بالقاهرة في مهمة ثقافية .

كما نشر في بداية السنة الجارية كتابه « نحو عربية افضل » في التيسير الجذري للغة العربية على اساس لم يسبق له نظير .

برانيه الجوانية :

وعندما تقدم « الجنيدي » الى مكبر الصوت اطال الحاضرون التصفيق وهتف بعضهم بحياة الجزائر العربية ، واخذ الجنيدي يتكلم بلغة عربية فصيحة لم يتلعثم فيها .. ولا ارتكب ادنى لحن طيلة النصف ساعة التي قضاها في المناقشة فكانه كان يرمي بذلك الى تقديم المصداق على عروبة الجزائر .

ابتدأ المناقش بتوجيه الشكر على هذا المجهود الذي دام حوالي ثلاث ساعات والذي بذله كل من الدكتور في محاضرته والحاضرين في الاستماع اليه ثم هذه المواصلة للاستماع من الجميع .

«والذي جعل رغبتي فيالمناقشة تتاكد هو ما تحظى به لفظة«الجوانية» من سعة وانتشار خصوصا في اوساط القاهرة الادبية والفلسفية وما يحظى به صاحبها المحترم الدكتور عثمان امين من مكانة كبيرة بوصفه رئيسا لقسم الفلسفة في اكبر جامعة عربية وما يتاتى بسبب ذلك من رواج لافكار تخصب وتفيد ولافكار دون ذلك .

وبادىء ذي بدء استسمح الجميع ان اعبر عن شعور ذاتي اعتراني ، هو خيبة ظن انتابتني بمجرد ان تبينت خطوط المحاضرة العامة ، فرغم

اني لم اكن اعتقد من قبل بان لنا بعد فلسفة عربية معاصرة تستأهل الاسم فاني كنت احسب اني سأستمع ، في الاقل ، الى افكار قيمة تجري بطريقة تكون فيما بينها انتظاما معينا هو ابسط شرط ضروري لمجرد تشبيهها بالفلسفة .

وكنت كلما مرت الدقائق زدت استغرابا بعدما ملئت خيبة ، ذلك بأن النفسية التي دخلت بها المحاضرة والتصورات التي كنت ارى بها الاستاذ المحترم قد جعلتني حين سمعت المحاضرة في حيرة من تفسير المستوى الذي جرت عليه . ورغم تشعب المآخذ فاني احاول عرضها فيما يلي :ـ

اين التعريف الفلسفي ؟؟

كرس الاستاذ قسما كبيرا من محاضرته للفظتي « الجوانية والبرانية» في القواميس والاستعمالات اللغوية ليثبت ان معناهما هو الباطني والخارجي من جهة وليثبت ان الاستعمال الدارج (في مصر) منطبق على المعنى الذي يرد به الاستعمال الفصيح القديم من الجهة الاخرى .

والواقع انه كان يكفي لكل ذلك فتح قاموس مثل « لسان العرب » لابن منظور لنجد ان (جوى الشيء : باطنه) اما بالنسبة الى « البرانية » فهي مشتقة من لفظة البر (بالفتح) الشائعة في كثير من لهجات العربية الدارجة . ومهما يكن فليس اعتراضي يتركز على ما اتى به الاستاذ من تعريف او تحليل لغوي من حيث هو كذلك لكن المآخذ يعود الى انه اتى بكل هذه التعاريف والتحاليل اللغوية الطويلة في الوقت الذي اغفل فيه كل تعريف فلسفي لا تغنى عنه المعاجم اللغوية وفي الوقت الذي يدور فيه الموضوع على التطبيق الادبي لاحدى الفلسفات ..

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الاقتصار على التعريف اللغوي يلزم عليه في مثل هذه الحال الدور والتسلسل Cercle vicieuse كما يقول المناطقة اذ ان كل لفظة يعرف بها تصبح هي نفسها في حاجة الى بيان معناها اي الى تعريفها ، ولا شك ان مذهب بعض الوضعيين Positivistes او الاسميين Nominalistes فضلا عن ان الاستاذ لا يؤمن بهما بطبيعة الحال .

لا يكفي هنا اذ ان ما يرونه من امكانية التعريف بالطريقة اللغوية البحت لايفيد لان اللغة العادية ليس فيها شيء من « الجوانية » كفلسفة بل كل ما فيها هو المعنى اللغوي العام الاستعمال فان كانت « الجوانية » هي هذا الاستعمال العام واذا كنا نصر على اعتبارها فلسفة رغم كل ذلك فهي اذن فلسفة بدون فيلسوف وهي اذن تتيح لكل من اراد ان يعتبر اية لفظة لغوية بناء فلسفيا قائم الذات .

ولكن بما ان الدعوى انما تقوم على اساس الاقتراض بان الجوانية فلسفة بالمعنى العادي الذي يفهمه المشتغلون بالفلسفة بل وحتى مجرد مثقف متوسط المستوى فانه من الضروري اذن تقديم التعريف الفلسفي لها والتحليل الذي يحصر معناها ومفهومها بما لايتأتى بالتعريف اللغوي البسيط . ولا يمكن ان يعفينا من التعريف الفلسفي كون الموضوع بمثابة التطبيق الادبي وليس بالتحليل النظري لفلسفة من الفلسفات ذلك بانه لا يمكن فهم حقيقة هذا التطبيق ولا قيمته ما لم تفهم سلفا فلسفة جوانية وأسسها النظرية في حقيقتها وفي قيمتها .

هذا ، وقد يمكن ان نتلمس الاعذار لهذا الاهمال في التعريف الفلسفي والافراط في التعريف اللغوي لو ان السيد المحاضر كان من القدماء الذين يفهم بعضهم الادب كبهرجة يمنحها اللفظ اكبر قيمها، لكن محاضرنا المحترم لايجهل ان القضية انقلبت في العصر الحاضر واصبح الادب الذي يتمركز على اللفظة ويفصلها عن المضمون ليس بشيء اكثر من حريق في هشيم اللغة . على حد تعبير سارتر .

بل لقد يغتفر كل ذلك لمحاضر عادي امام مستمعين عاديين ، فما بالك اذا كان المستمعون دكاترة مختصين واساتذة فكر معروفين وطلبة متفرغين في قسم الفلسفة.. بل فما بالك اذا كان المحاضر هو رئيس قسم الفلسفة بالذات ؟

قلة تحمي اشباحا :

ومن المآخذ السابق يتفرع مأخذ اخر يتمثل في «دراجية الجوانية» اذا سلمنا جدلا بانها فلسفة وفي كونها تمثل عرفا عاما كل انسان وكل

أصوات

مجلة تصدر أربع مرات في السنة

للثقافة والأدب والفن

مجلّة كلّ مثقّف

يمكن الحصول عليها من كبريات المكتبات في جميع أنحاء العالم العربي

تصدر عن :

ULP

UNIVERSITY OF LONDON PRESS LIMITED

WARWICK SQUARE

LONDON, E.C.4

فلسفة تحاول او تدعى الجري بمقتضاه والسير على منواله . وبعبارة اخرى فالجوانية في احسن احوالها لاتعدو ان تكون طلبا للب وراء القشور وللحق وراء الباطل ، وطبعا فنحن لاننتقص من قيمة مثل هذا المطلب ولكننا نشجب ان يؤتى اليه فيزعم له زاعم انه فلسفة وانه هو صاحبها .

ذلك بان هذه الفكرة كما سبق ان اشرت هي من الشيوع والاشتراك بين العموم بحيث تكون تراثا يعم جميع الناس . او مثلا اعلى ينشد ، اما ان تكون فلسفة تقف هنا وهناك من مدارس الفلسفة القائمة او حتى الغابرة فهذا مالا تملك مقوماته ، وبعبارة اخرى فان « الجوانية » كما تراءت لي من خلال المحاضرة لاتعدو ان تكون شرطا للمعرفة باوسع معانيها وباوسع ميادينها . دون ان يكون ذلك نظرية اولا ، ودون ان يكون ذلك فلسفة ثانيا .

وعندما قارنت اسانيد هذه المآخذ بفكرتي القبلية عن الجوانية بدا لي الامر كما قد تبدو قلعة مهيبة ظن الغريب عنها انها تحوي جيوشا جرارة وعتادا مكدسا .. واذا هو يدخل ، فاذا القلعة لاتحتوي غير الاشباح وظلال جدرانها ..

وليس مما يدخل في مهمتي هنا ان اقول ان فيما تقدم عبرة لمن يريد ان يتتبع العوامل المسؤولة عن اشتهار لفظ من الالفاظ وترويجه ولكن ليس من الخارج عن هذه المهمة اذا انا حاولت التماس العوامل المسؤولة عن رواج لفظة هي محور المحاضرة والنقاش ، واهم هذه العناصر قد يعود الى الجانب البسيكولوجي للفظة « الجوانية » فاصلها في الدارجة المصرية « واعني بالاصل جوى » كثير الشيوع والاستعمال فالمرء لايكاد يركب سيارة عمومية مثلا الا ويسمع مرات نداء الكمساري يحث الراكبين على الدخول « جوى » .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى « فالجوانية » في ذاتها لفظ رشيق خفيف يجري على اللسان وهو مفهوم المعنى العام ويوحي بكيفية غامضة بان فيه رغم تلك المفهومية العامة شيئا « مخبوءا » والمرء يميل دائما الى استطلاع المخابيء حتى ولو كانت لاتنطوي على غير الاشباح .

اذا اضفنا الى ماتقدم في رواج « الجوانية » مكانة صاحبها المحترم بوصفه رئيس قسم فلسفة جامعة القاهرة تبينت لنا جملة العوامل المسؤولة عما تم لها من اشتهار وانتشار .

تضليل وتدليل :

غير ان الاستاذ المحاضر قد جارى كثيرا المفهوم الدارج فاعتبر ان المظهر مضاد للحقيقة وان كل ماليس بالجواني والباطني فهو من جهة تافه ومن جهة يتحتم نبذه .. في حين ان النظرة الحديثة لم تعد تفرق بين المبنى والمعنى فترى بالعكس ان احداهما مكمل وضروري للاخر لكن ، اذا كانت هذه النظرية محل نزاع عند الدكتور الفاضل فليس هو في حاجة الى اعتناقها . ونكتفي اذن : بملاحظة ان المظهر لاينبغي تشذيبه الا اذا اخذناه مستقلا عن الباطن واعتبرناه اياه اما اذا اخذناه في طبيعته وحقيقته فهو مفيد في الوصول الى الباطن الذي تدعو اليه « جوانية » الاستاذ وهو يقود اليه ويدل عليه .

فالمظهر قد يكون مضللا كما قد يكون مدللا وذلك حسب كيفية تأويلنا له ونظرنا اليه فاذا راعينا طبيعته فعاملناه من حيث هو دلالة او مرحلة في طريق معرفة الشيء الذي يكون باطنه ، كان مدللا والا فهو مضلل.

« والامام علي » نفسه ـ وقد استشهد الاستاذ المحاضر ببعض كلامه ـ هو الذي يقول حسب كتاب نهج البلاغة « ما اضمر احد شيئا الا وظهر على فلتات لسانه وصفحات وجهه » فقيمة دلالة الظاهر هنا واضحة فهو مرشد وليس بالخداع .

كذلك لا احسب ان الدكتور المحترم قد غاب عنه وهو مدرس الفلسفة ورئيس قسمها ان هناك مذهبا معاصرا مشهورا يعتبر الظاهرة ـ التي لا تتماشى في أي من معانيها مع « مذهب » الدكتور ـ هي الاساس المنهجي والفلسفي لكل تحليل بل ان اسم المذهب نفسه معروف بمذهب الظواهر .

واخلص من كل ماتقدم الى ان « الجوانية » كما عرفناها الليلة هي اشبه ماتكون بالبطاقة التي يمكن لصقها على اي موضوع بشرط واحد فقط هو الشرط الاساسي لكل موضوع فكري واعني به افتراض الصدق اي ان الجوانية هي حالة الصدق الحقيقية او المدعاة ، هي صفة للفكر يطلبها انى كان حسب مفاهيمه وتطوره وهي تحصيل الحاصل في كل معرفة ، وبتعبير اخر فان « الجوانية » تدعو الى مبدأ مفروغ من الاتفاق عليه واي نشاط فكري لاتكون له قيمة ولا موضوع ان هو لم يجاوز هذا المبدأ الى معطياته الاخرى والامر ، في هذه الحالة هو بمثابة من يقوم بالدعوة الى تطبيق احدى ضروريات الفكر الاخرى مثل « مبدأ الذاتية » او عدم « التناقض » . فكما انه لايمكن اعتبار مثل هذه الدعوة ـ ان وجدت ـ فلسفة فكذلك الشان في « الجوانية » .

فلكل هذه الاسباب وتماشيا مع الدكتور في اسلوبه الفكه احيانا وانتفاعا ببعض المعاني في الجوانية والبرانية ارى ان اخصر عبارة وادقها لجمع اطراف هذه المناقشة هي : ان الجوانية ليست الا برانية « تصفيق متواصل » ..

فضل مجلة الاداب لايمكن انكاره :

ايها الاخوان . عندما سمعت اول هجوم للدكتور على مجلة الاداب خشيت ان اكون مضطرا للرد عليه في موضوع لايدخل تحت المحاضرة غير ان حضرته قد واصل الهجوم وواصله بطريقة ليسمح لي ان اصفها بالبعد عن الفكر .

والحق انه مما لايليق باي مثقف عربي ان ينكر فضل مجلة الاداب فهي قد صدرت منذ عشر سنوات .. في الوقت الذي لاقت فيه اكثر المجلات العربية مصرعها . فكان صدورها بمثابة الانقاذ الذي لولاه لتعرض الفكر العربي الى فجوة ، الله وحده ، يعلم مدى خطورتها . في هذه الظروف الهامة العسيرة قامت مجلة الاداب تؤدي مهمة مزدوجة : تنشيط

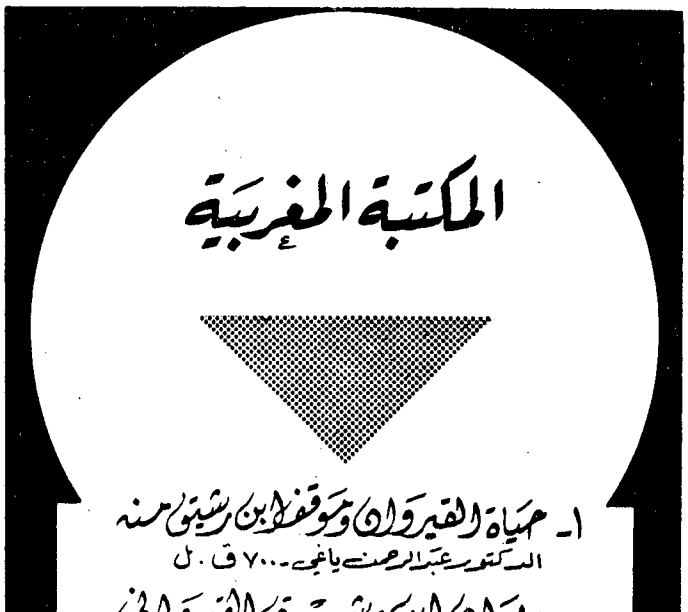

الانتاج الادبي من جهة وتجنيده في سبيل القضية العربية من جهة اخرى . فاصبحنا لاول مرة امام تيار قوي يدين التفرغ للغزل ومثله من التفاهات .. في سبيل ادب هادف مناضل يقود الامة العربية الى حياة افضل .

وظلت مجلة الاداب ملتزمة بمهمتها المزدوجة على الصعيد الفكري حتى اذا اندلعت الثورة اللبنانية الاخيرة ضد الشعوبية وعناصرها الشمعونية وامثالهم من المخربين للوطن العربي ـ وجدنا رجال هذه المجلة يخوضون المعركة العملية فيلتحقون بصفوف المقاومة .

ولا تنس ماتعرضت له المجلة من مصادرة واضطهاد من طرف اكثر من حكومة عربية رجعية ولكن رغم كل شيء ظلت تناضل وظلت تنشر اشعاعها الفكري على ربوع العرب اجمعين .

هذا واحسب ان مجلة الاداب ليست في حاجة الى الدفاع عن نفسها لان العارفين بفضلها من الاكثرية بحيث لا مجال لمقارنتهم بغيرهم، غير ان في المرء عواطف لايمكنها ان تسمع كلام الدكتور حول المجلة وتلوذ بالصمت والخذلان .

ونترك هذا ، الى ماذكره الاستاذ المحاضر من ان بعض الطلبة من اصدقائه قد بعث الى مجلة الاداب يرد على النقد الموجه الى « الجوانية» تحت عنوان : « البرغسونية الشائهة ؟ » والذي كان قد نشر من قبل بالمجلة غير ان المجلة لم تنشر « على ماذكر حضرته » مقال الطالب الصديق.

ومع احترامي البالغ لشخص الدكتور « ولطالبه الصديق » فاني اجدني تجاه هذا الموضوع ملزما بالاحتراز ، ذلك بان العقل الذي يجوز ان تكون مجلة الاداب قد اتصلت بالمقال ولم تر نشره لهو نفسه الذي يجوز الظن بان المقال لا وجود له في غير الخيال .

وهناك احتمال اخر يمكن ارجاعه الى ان الاداب لاتنشر كل مايرد اليها بل انها تشترط مستوى معينا كحد ادنى لايمكن تجاوزه الى ماهو ادنى . (1)

واخيرا فعلى الدكتور الا ينسى انه اذا كانت للجوانية مقومات البقاء الذاتية فانها لن تتاثر بمقال ينشر في مجلة حتى ولو كانت ارفع مجلة في العالم العربي كله . اما ان كانت فاقدة لشرط البقاء فلن تنفعها كتب تؤلف لتبريرها بله ماهو دون ذاك .. هذا مع العلم بان كل مثقف عربي يصفق ابتهاجا بان تكون في لغته فلسفة تضاهي الفلسفات القائمة في العالم الغربي ، غير انه لاشيء من « الجوانية » والاسف الصادق يفعمنا ـ يبشر بان ابهت الاشعة الفلسفية سيكون مبعثه منها».

التحـــام ثـان

عاد الدكتور امين ليرد على الاستاذ خليفة فشكر السيد المعلق « على عنايته » « بالجوانية » وعندما فرغ من ذلك ابتدأ يرد على المأخذ الاول العائد الى التعريف فذكر انه لا يؤمن به وقال ان كثيرا من الفلاسفة لايؤمنون كذلك بالمذهبية اذ ترى فيها تجميدا لها وحدا من امكانية انطلاقها ، ومن امثال هؤلاء الفلاسفة « كيركجارد » « وكارل ياسبرز »، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان اللغة العربية بخصائصها النحوية وغير النحوية تكتسب طابعا من « الجو القائم » ـ والكلمة كلمته ـ يبعدها عن التعريف وفي نفس الوقت يغنيها عنه ، اللغة العربية لا تنبسط مع التعريفات والتحديدات انها لغة الانطلاق والروح . وقال انه لايعرف في اللغات الاجنبية مثل هذه المزايا التي تتمتع بها العربية ، بل وحتى لغة « جوته » الالمانية ـ هذا الشاعر العظيم الذي اسمعتكم عنه الكثير اثناء المحاضرة ـ لا ترتقي الى مستوى العربية « واستشهد الدكتور باحد الاساتذة الحاضرين العارفين باللغة الالمانية » فلم يرد عليه .

كلا ان الجوانية لاتعيش في جو من التعريفات ولكن في « جو غائم» واني ضد الموضوعية وضد كل تحديد وتجميد ، هذا مع العلم بان عنوان المحاضرة هو « الجوانية في الادب » فانا لا اتكلم على الجانب النظري بل على الجانب التطبيقي وفي هذا يكفي ـ اذا سلمنا جدلا بضرورة التعريف ـ يكفي الاتيان بالتعريف اللغوي والاقتصار عليه .

واما بالنسبة الى مجلة الاداب فانا محتفظ بالعدد الذي نشر فيه الرد علي وكان على « سيادتك » الا تبادر الى الاتهام قبل التاكد .

الجنيدي يعـود

وهنا استاذن الاستاذ الجنيدي وقام فلاحظ ان مابدى احترازه تجاهه ليس هو المقال المنشور بالاداب تحت عنوان لم يدققه الاستاذ المحاضر مما قد يشبه ان يكون « الجوانية او البرغسونية الشائهة .. » ولكني احترزت ـ كما هو بديهي من طبيعة السياق ـ تجاه المقال الذي ذكر الدكتور المحترم ان احد طلبته الاصدقاء هو الذي كتبه للرد به على الرد الاول .

« الدكتور عثمان امين : لا ، بل كنت تقصد المقال الاول المنشور بالفعل .. وهنا صاح بعض الحاضرين : كلام الاستاذ الجنيدي صحيح يادكتور .. فسكت هنا الاستاذ امين » .

وواصل الاستاذ الجنيدي رده يقول : وكما اني اعتبر هذا المأخذ لايزال قائما فكذلك ارى انكم لم تردوا على مسألة التعريف فما ذكرتموه من تبرىء بعض الفلاسفة من المذهبية واستنكارهم اياها اوافقكم عليه تماما ، غير انه ليس محل النزاع ، ذلك بان موضوع المناقشة هو ماأخذته على المحاضرة من افتقار الى التعريف الفلسفي ، اما الجانب المذهبي فلم اتعرض له ؟ وما احسب ان التعريف يساوي المذهب حتى يتيح الاستاذ لنفسه ان يرد بهذا على ذاك . هذا من جهة .. ومن جهة اخرى فان التعامل بأي كلام ليقتضي شرطا اساسيا هو تحديد معنى الالفاظ المستخدمة فيه .

والا استحال التفاهم ، وهذا بالضبط ماطالبنا به الاستاذ .

واخيرا ، فلست بحاجة ان اذكر الاستاذ المحترم بان الفلاسفة الذين ينفرون من المذهبية وقد استشهد بهم ـ ينفرون في نفس الوقت من ان يعتبرهم الناس اصحاب فلسفة . اما حضرة الدكتور فقد تحكم في الموضوع تحكما مفرطا فلم « يعرف » ولم « يتمذهب » ولكن مع كل ذلك ، بل لنقل رغم كل ذلك ، فقد تفلسف وتمسك بان له فلسفة ، وفلسفة يعتنقها في جميع ميادين الحياة !!

هذا والملاحظ انكم لم تردوا على ما اثرته من باقي المآخذ ولكنكم استرسلتم في تفسير موقفكم من الاقتصار على التعريف اللغوي فلاقتصر عليه انا ايضا في تعقيبي باعتبار ان الصمت ـ عند بعض الفقهاء ـ من علامات الرضى « ضحك من بعض الاساتذة » .

تقولون ان العربية مخالفة بطبيعتها للتعريف والتحديد وتجارون في هذا عن غير قصد ، بعض المستشرقين مع اختلاف الاغراض والغايات ، والواقع ان المسألة في حاجة الى بيان اكثر اذ ان العربية في الماضي وفي بعض المجالات في الوقت الحاضر تدل على انها قادرة حقا على التعريف والتحديد ، ومهما يكن فاحسب ان هذا ان صح يجب ان يعتبر كعيب يسعى ابناؤها الى علاجه وتفاديه . لا ان يعتبر « طبيعة » لايمكن تغييرها ، بل ومزية تطرى ، ذلك بان التحديد هو اساس العلم ومن ثم اساس الحياة ، وان تكون لغتنا لاتنبسط الا في « جو غائم » كما عبر الاستاذ فأمر بالغ الخطورة .

في معابـر الكلية

وهنا اقترح الدكتور نظرا الى ضيق الوقت الذي كان يشير الى حوالي العاشرة ان تقع العودة الى المناقشة في مثل هذه المسائل في محاضرة اخرى اذا سمحت الظروف فاخذ يغادر المنصة وبذلك تبعه الاستاذ الجنيدي وبقية المدعوين وبعض المستمعين . الذين حاصروهما في حلقة مكتظة ولم ينته النقاش بل تواصل ولكن بشيء من معاتبة الاستاذ امين الجنيدي .. في معابر الكلية .

وعاد الاستاذ الجنيدي الى موضوع العربية فذكر ان عدم قابلية لغتنا للتحديد فكرة تعرف عليها من زمان وناقش فيها المستشرق « بارك» في مقال مطول منشور بمجلة الفكر التونسية منذ سنتين .

اما من حيث الجانب النحوي للغة العربية ـ فذكر بصدده : « انى شخصيا لا اضفي عليه مثلكم كل هذه الاهمية وارى لبه الحقيقي ينحصر في قاعدة لاتتجاوز السطرين اما الباقي فلغو يضيع الجهد والوقت،

(1) تعليق « الاداب » : لا يذكر التحرير انه تلقى مثل هذا الرد ، والا لنشره او اكتفى بالاشارة اليه « المحرر »

وقد عقدت فصلا مطولا ايضا عن قضايا النحو في كتاب لي صدر اخيرا ».

وانتهى النقاش املا في استئنافه بمناسبة اخرى ، غير ان طلبة قسم الفلسفة لم يفرغوا ـ وقد مرت ايام ـ من التعليق كما ان بعض الاساتذة الحاضرين قد اوصوا بضرورة استدعائهم اذا حلت المناسبة المنتظرة . غير ان السؤال الذي يشترك فيه الان الكثير هو هل تأتي فعلا هذه المناسبة اي هل سيستمعون مرة اخرى الى مناقشة الاستاذ الجنيدي للدكتور امين في « جوانيته » ام لا ؟؟

لسنا نقدر على الجزم بهذا او ذاك ..

ب٠ع٠ع

الحسرات التي يشربها القراء !!

بقلم حسب الله الحاج يوسف

لا مشاحة في ان القاريء ـ أي قاريء ـ ينتبه الى مايقرأ بأناة واستبصار ، ويهضم مايسفح في قراءته ضوء عينيه ، بفهم وتذوق واستيعاب ، يلتقي ذلك القاريء خلال رحلته المضنية حينا ، والمبهجة حينا آخر .. عبر الكتب والمجلات ، بأقلام متباينة ، منها الوطنية المخلصة النظيفة ، التي تعكس له على صفحات الورق نفوس اصحابها بجلاء ، بما فيها من طهر وعفة ونقاء ، وبأستمرار التتبع المتفحص ، تنشأ بين القاريء والكاتب صلة اشبه مانكون بصلة افراد الاسرة الواحدة ، فيحبه ،ويقدره ويمجده ، ويعتبره واحدا من « اخوان الصفا » فيلجأ اليه يروح عن نفسه بين السطور ، في ساعات الملل والانقباض والسأم ، ذلك لان الكاتب المخلص الشريف ، يعطيك ـ رغم بؤسه وتعاساته الخاصة ـ أعز مايملك من جوانب الخير والامل والسرور ، يعطيك ارق مايحمل بين جوانحه من مشاعر ، واحاسيس .. انه يمزق اوردته ويغذيك ، ويقطع من كبده ويطعمك بمثلما يطعم ضلوعه . بعكس ذلك الكاتب الذي يمد لك لسانه ، فيخونك ويحتقر وعيك وتفكيرك ـ لاغراض تغيب عن فهمك القاصر ـ فيقدم لك وجبات قاتلة ، وجبات ملوثة بالسم الزعاف ، يغلفها لك بقشرة ناعمة ملساء من السكر الحلو ، لكي يسهل عليك ، اما امتصاصها رويدا رويدا فتنشل وتفقد الحركة ، او تبتلعها مرة واحدة فتتخثر ومن ثم تموت !

اذن .. فعلى افتراض وجود مثل هذين الصنفين بين كتابنا العرب، فاننا مازمون بحكم مسؤوليتنا كقراء طيبين ، نركض وراء الحروف ... نتغذى ونتكيف ، وننفعل وننصقل ، بما يتاح لنا من نتاج مقروء .. مهما كان لونه ، ملزمون بان نتفحص بيقظة ، وان نحاسب ونتساءل ، وان نحتج لدى الضرورة ، ونرفع صوتنا تجاه أي ظاهرة ، شاذة ومريبة وغير طبيعية ، نلتقي بها مصادفة ، او نحسها عبر السطور خلال معايشتنا لما تقذفه لنا المطابع عن طريق الكتب والمجلات ، ولا بأس من ان نعبر ايضا عن أسفنا والامنا حينما نرى انحرافا ، او شبه خيانة لقضايا أمتنا العربية التي ما زالت في صراع مرعب مع الاستعمار في صورة المتعددة ، اقول ينبغي ان نعبر عن أسفنا ، وان نعلن عن رفضنا لاي شكل من الخديعة يقدم الينا بطريق التغليف السكري المعروف ، لان اي ايماءة ، او شعور بالارتياب يصدر من قبل واحد من القراء .. مع شيء من الامتعاض ، قد يساعد ولا ريب كتابنا المخلصين من حماة العروبة ... ذوي الاقلام المستضيئة باشعة الثقافة النظيفة ، يساعدهم على تسديد الانتباه صوب تلك الظاهرة اللامخلصة ، فيعملون حينئذ على تبريرها لنا ، او فضح اصحابها ، ودمغهم بالخيانة علنا ، ومن ثم يواصلون عمليات كشفهم ،وكبح نشاطاتهم في نطاقها الضيق ، بحيث لاتستفحل شرورهم ، وتستشرى سمومهم في اذهان القراء الكثيرين المنتشرين في بقاع عالمنا العربي الكبير !

مجلتنا هذه « الاداب » نحن نعرف حياتها جيدا ، ونعرف محرريها لانهم من افراد الاسرة ، وتوكيدا لرضانا عنها ، وعمق محبتنا لافراد هيئة تحريرها ، نقول : انه منذ سنوات خلت ، وعلى التحديد في اذار عام ١٩٥٣ ، كتب الدكتور سهيل ادريس رسائل خاصة الى بعض اصدقائه من الادباء العرب ، يدعوهم فيها للاسهام في تغذية المجلة باقلامهم ، وقد تلقى ردودا كثيرة نشرمنها رسالتين احداهما للاستاذ فؤاد الشائب ،والثانية للاستاذ توفيق يوسف عواد ، وقد كانت نظرتنا نحن كقراء عادة في مثل هذه المواقف ، وتفسيرنا لموقف الاديب الذي يترك القلم ويهجره ـ بخاصة اذا كانت لديه الامكانيات ـ قد يكون تفسيرا لايخلو من ادانة ، ولكننا قد اقتنعنا انذاك بما اتخذ اولئك الادباء من اعذار لعدم تمكنهم من الكتابة ، على اننا ان تابعنا رصد مثل هذه الظاهرة فاننا بلا شك نلتقي بادباء اخرين كثيرين ، وان لم تكن علة سكوتهم الكفر « بالخلود » والزهد بقيم الحبر والورق ، فقد تكون عللهم من نوع اخر ، مثل : الكسل ... الخمول .. الهرب .. العبث بالمسئولية .. هل اقول الخيانة والجبن ايضا ؟.. كلا ، فهناك مثلا الاستاذ شاكر مصطفى والاستاذ محيي الدين محمد ، وبعض اخواننا من ادباء العراق الحبيب ، جميعهم صمتوا ، وكفوا عن مواصلة الكتابة ، اما شاكر مصطفى ، فانه « صدف ـ كما قال لي في رسالة خاصة ـ عن الكتابة للمجلات ، فادب المقالة ـ في نظره ـ يموت يوم صدور المجلة التي تحمله .. » ، وكل المعجبين بأدب شاكر ، وبنثر شاكر ، وبطيبة شاكر ، وبمحبته للناس ، يعلمون انه اضحى ـ كعادته ـ أكثر اقلالا في الكتابة ، ليس « للنقاد الدمشقية » وحسب ، وانما حتى لمجلة « الاداب » التي هو من أبرز نجومها ، فنحن لم نقرأ له مذ عودته من «كولومبيا» سوى مقالة « الزيتونة والدم الحار » التي تحسر فيها في وقفته عند قبر الشهيد الاسباني فيدريكو غارسيا لوركا .. وليت شاكر مصطفى يعرف مقدار حبنا لادبه الراقي العفيف ، وليته يعرف مدى مايخلفه اقلاله هذا من حسرة في قلوب قرائه !!

معنى هذا ان واحدا من هؤلاء الكتاب الذين اشرت اليهم ـ وهذا من وجهة نظري وذوقي الخاص ـ لا استطيع ان اتهمه بشيء يجافي مبدأ الاخلاص ، واذا كان لي وللقراء جميعا ان نعتب على واحد منهم ، او على جميع الكتاب الذين نقدس كلماتهم ، فانما يجب ان يكون العتب على زهدهم بقيم الحبر : وعلى نظرتهم لطول عمر المقالات التي تحملها المجلات ، والتي تموت من وجهة نظرهم يوم صدور المجلة التي تحملها. وهذا امر غير واقع . اذا كانت المجلة (كالاداب) الغراء !!

تبقى بعدئذ مأساة الاديب محيي الدين محمد ... وانا اصر ان اسمي موقفه هذا (مأساة) .. مأساة بالنسبة لقراء العالم العربي وبالنسبة لما اومأت اليه من صلات التجاوب والتقدير التي تنشأ بين القاريء والكاتب ، والتي تهتز ـ لاسباب ما ـ وتبدأ في النفور والارتياب .. ذلك لان محيي الدين محمد ذلك الكاتب العربي الضليع ا المعروف بسعة اطلاعه ، المتميز بروعة تعبيره ، المشهور بعمق تفكيره ، المتفوق برصانته وغزارة عطائه .. هذا الاديب الانسان الذي نرجو منه الكثير ، قد جعلنا نرتاب في موقفه من قضايانا ... انا شخصيا لا احب ان اطعن محيي الدين بكلمة واحدة ، ولكن يمكنني فقط ان اشير الى حكاية انتمائه الى جماعة مجلة « شعر » ورفيقتها (ادب) ا وان انقل وحسب حقائق دامغة ، حقائق امضتنا وآلمتنا وجعلتنا في حيرة مذهلة ... وكيف لا نحتار ونحن نقرأ للاديبة العربية الكبيرة نازك

طبعت على مطابع

دار الندى للطباعة والنشر

تلفون : ٢٢٢٩٢١

الملائكة مقالا عن نوايا جماعة مجلة « شعر » ، وعن تلاعب صاحب « البئر المهجورة » بقواعد اللغة العربية ومحاولة طمسه لمعالمها ، وحكايات « أل والفعل » .. وهي ما زالت تواصل كشفهم ، كما جاء في حديثها عن « قصيدة النثر » بعدد (نيسان ١٩٦٢) بمجلة (الاداب) : « والحقيقة التي يعرفها المختصون : والمتتبعون ، ان طائفة من ادباء لبنان ، يدعون اليوم الى تسمية النثر شعرا . وقد تبنت مجلة « شعر » هذه الدعوة الركيكة الفارغة من المعنى ، واحدثت حولها ضجيجا مستمرا ، لم تكن فيه مصلحة لا للادب العربي ولا للغة العرب، ولا للامة العربية نفسها ..!! »

وكيف لا نحتار ونرتاب ايضا والاستاذ محمد الماغوط الذي كان هو ذاته من جماعة مجلة « شعر » يقول ـ بعد ان تركهم ـ (*) « ان الجمهور في كافة اقطاره وامصاره ، هو الذي يتلقى الضربات والطعنات في صميم تاريخه ، وتراثه وكرامته ، عندما يقف « تشومبي » الشعر الحديث الاستاذ يوسف الخال في مؤتمر الادب العربي المعاصر في روما ليقول امام جمهرة من الغرباء والمستضلعين ، والمستشرقين : « جئتكم من بلاد الرمل ، تزكم انفي رائحة الابل والصحراء !! » .. وكيف لا نرتاب ونألم حينما يقول سواه :

يا بلادي من الاعماق لا اناديك
لم اقرأ قصتك ، واتمناك رحما افرزه
يا بلادي اذا استدعيتك
فلرحمك اوسعه . اطرز ضفتيه بروثي

« نعم هذه هي حقيقة جماعة مجلة شعر ، وهذا هو منهاجها ودستورها . ارضنا الطيبة المروية بدماء الشهداء ، المجبولة بالعرق والدموع ، وعظام الابطال وبدموع الفلاحين والعمال والكادحين ، لم يقرأوا تاريخها وقصتها ، وسيطرزنها بروثهم . »

كيف لا نعجب ونأسف ونتألم والاديب الناقد العربي المخلص رجاء النقاش يقول من حديث طويل عن « الفينيق ».(1) « ليس امامنا الا ان نعرف ماذا يقولون ـ ويعني جماعة مجلة شعر ـ وماذا يريدون لكي نتجنب اخطارهم ، فهم لو استطاعوا لاحرقوا الوطن العربي . مثلما احرق الرومان قرطاجنة ... ومثلما احرق نيرون روما وهو يضحك ، وقد عجزوا ان يحرقوا المدن والقرى ، ولذلك فهم يملأون الحروف والسطور حرائق ، وهم يشعلون في هذه الحرائق كل ما آمنت به الامة العربية في معركتها الراهنة ، وكل ما تضمه هذه الامة العظيمة في صدرها من عقائد واحلام . »

وانا بالطبع لا يمكنني رصد كل ما قيل عن حركة مجلة « شعر » ولذلك فلما كان اذن بد من ان اعتمد على تتبع القارىء ومسايرته لحركة الوعي العربي الصاعد بعد ايراد اضافات طفيفة ـ ان امكن ـ كقول كاتب في باب (النشاط الثقافي) بلبنان : « واعترف منذ البداية انني لا انوي استعداء السلطة على هؤلاء الذين «حملوا » القلم طيلة السنوات الماضية فبشروا بالحركة ونشروا الجفاف والصقيع في ادبنا وبثوا ريحا خبيثة سامة في جميع نواحي حياتنا الفكرية .. » .. الى ان يقول : « وطبعا حين يساوم الاديب بشرفه وضميره .. لقاء نشر مقال او قصيدة في مجلتهم ، او اي جريدة يسيطرون عليها ، فمن الطبيعي الا ننظر اليه نظرتنا الى الاديب .. والا نحسب حسابه في هذه المعركة !! »

وعلى ضوء ما تقدم من فقرات موجزة تفضح كلها مواقف جماعة مجلة « شعر » وتعمل على تعريتهم وعلى ضوء ما جاء في الفقرة الاخيرة التي تحدد موقف اي اديب بنشر مقالة في مجلة شعر ، او اي جريدة يسيطر عليها جماعة « شعر » .. فان موقف الاخ محيي الدين محمد يحتاج ـ كما هو الحال ـ الى اعادة نظر ، فمحيي الدين الذي كان قبل مدة غير بعيدة نقرأه بانتظام على صفحات (الاداب) بدأنا نراه يتحول فجأة ـ رغم كل هذه الكركبة والمصائب ـ الى مجلة « شعر ».. الى جماعة « تشومبي ».. ففي (مجلة شعر شتاء ١٩٦٢) كتب مقدمة تقريظية مجد فيها مجلة « شعر » تمجيدا يخالف اراء الكتاب الذين تعودنا الايمان بما يقولون فقد قال : « منذ القراءة الاولى لهذه المجلة، ادركت انها بسبيلها الى تغيير نظرتنا الى الشعر العربي وتجديده . فالنوايا حسنة صادقة (!!!) والعمل دائب والرغبة شديدة وقاسية ».. الى ان يقول : « هل تكلمت عن ماضي مجلة شعر وما حققته في هذه السنوات الماضيات ؟ كلا .. ومع ذلك احسبني لا اقول الا حقا عندما اتكلم عنها كأهم مجلة خاصة بالشعر في تاريخنا القديم والحديث ـ الى العام السادس اذن ، والسابع ، والثامن والمائة بعد الالف، بقلوب ثورية عظيمة الايمان بطاقات هذا الجيل »

هذا وقد قرأت ، او وقفت بتعبير اصدق عند اول عدد من رفيقة شعر الموسومة بـ (ادب) والتي اصدرتها دار مجلة شعر اخيرا ، فقرأت في ورقتها الاولى بعد الغلاف اسماء هيئة التحرير . والمراسلين لها ، كان اسم الاستاذ محيي الدين محمد مثبتا كمراسل لها من (الجمهورية العربية المتحدة) ، والاستاذ بدر شاكر السياب مراسلا من (العراق)(*).

ومع كل فاني اعتذر للاستاذ محيي الدين محمد ، ويجب ان يتأكد بانني لولا محبتي له لما تجشمت مشقة هذه الكتابة .

(*) تعليق « الاداب » : ابتداء من شهر شباط الماضي ، ابلغت الاداب الاستاذ محيي الدين محمد استغناءها عنه كمراسل لها في الجمهورية العربية المتحدة . وذلك لاسباب مختلفة لا مجال لذكرها الان اهمها ارتباطه بمجلتي « شعر » و « ادب » . اما الاستاذ السياب فقد ابلغنا بحضور الاستاذين الدكتور خليل حاوي وبهيج عثمان انه سيطلب رفع اسمه من مجلة « ادب » كمراسل لها في العراق .

بورسودان — حسب الله الحاج يوسف

صدر حديثا :

نرسيس

رواية جديدة في شكلها ومضمونها ذات دلالة

ثورية حضارية

تاليف

انور قصيباتي

منشورات دار الثقافة

(*) عدد الاداب كانون الثاني ـ مقالة بقلم محمد الماغوط نشرتها (الاداب) نقلا عن زميلتها (الانوار)

(1) عدد الاداب نيسان ١٩٦٢ من مقالة لرجاء النقاش عنوانها (الادب والادباء)

(2) مجلة الاداب شباط ١٩٦٢